الجرأة الشعرية والإبداع

الشاعر والرحال الكبير بدل رفو والجرأة الشعرية

- إن الجرأة ثورة كاسحة أمام الضعف والإنكسار والإهانة

عصمت شاهين الدوسكي

إن الهزات الشعرية ، العصرية ، الحضارية ، تحدث بصورة ما في تاريخ الأدب والفن والفكر ، هذه الهزات الشعرية تحمل معها جرأة الشاعر في كشف وإيضاح الحقائق ، التي يخشى الآخرون من كشفها لسبب ما ، أو بوحها بشكل خفي ، أو بصورة رموز يختارها الشاعر تعكس صورة الواقع ، وهذه الجرأة لا تعتبر مودة ، أو موديل ، أو تقليعة جديدة ، بل تعتبر تحولات عميقة يستجيب لها الناس بشكل عام ، لأنها تمس شغاف قلوبهم ، وتعتبر جرأة كاسحة ، لترمي السوداوية ،والظلم ، والفساد ، والتدهور والإنكسار ، بين أكوام الأنقاض ، الشاعر والرحال الكبير بدل رفو من الشعراء الكورد الذي رمى جلباب الروتين ، وسترة الملل ، وقميص الكسل ، وربطة القيد ، في مساحات واسعة من تحركه الفكري ونشاطه المتقد بين عوالم المناطق الجميلة يكتشف الجمال والحياة والحضارة الإنسانية الراقية ، في شتى بقاع الأرض من الموصل لبغداد الى دهوك الى قرية شيخ حسن الى الهند امريكا الجنوبية وكازاخستان الى مناطق النمسا الجميلة ، غراتس ، وشتايامارك الى اهرامات مصر وجمال المغرب ومدينة شفشاون ، وغيرها من بقاع العالم بجبالها ووديانها ، وانهارها وبحارها ، بينابيعها وشلالاتها ، بفقراءها وأغنياءها ، هذا الجهد الإستطلاعي

الفكري المميزفي شتى بقاع الأرض في عصر يترك الكثير من الأزمات ،والأحداث التاريخية ، نتيجة لظهور سياسات جديدة ، جعلت من بعض المجتمعات الاسيوية عامة والعربية خاصة لقمة دسمة بيد الآخر ، الأكثر جرأة في الظلم والتعسف والتسلط والنفوذ والفساد وسرقة المال العام وتهريبه للخارج والتحكم بمصير الفقراء والناس الذين لا حول لهم ولا قوة ، وظهور طبقات إجتماعية جديدة تغدو بكروشهم المتخمة كالقروش لتفترس بأنيابها الجارحة ، الطامعة ، كل إنسان ضعيف ، وظهور إنقسامات كبيرة في المجتمع ، بحيث تجزأ المجزئ ، إنقسام مر ، علقم ، بتفاصيله ، بحيث أن بسطاء الناس لم يتفقوا تماما على طبيعة الوضع الجديد ، من ضمن قصائده الجريئة أخترت قصيدة لاجئة الذي يقول فيها ..

((عيون طفلة

أمام عدسة الإعلام

وعيون تحمل مواجع أمة مهزومة

سياسيوها قطعة قماش مهترئ

على خصر راقصة شرقية

أكل الدهر منها وشرب))

من الضروري أن نكون جريئين لكن بتمعن وفكر واعي ، جرأة الحق ، العدل ، الجرأة الشعرية ، الحضارية ، التي تفسر طبيعة صور الوضع الجديد ، مهما إختلفت الأشكال والألوان ،والصوت والصور والأشخاص ، نلاحظ في قصائد الرحال والشاعر الكبير بدل رفو جرأة شعرية لتفسيرات لا تمتاز بالحدس والتخمين فقط بل إضافة الى جملة أحداث واقعية تؤثر في المجتمع ، تتجلى من

خـلال خصوصـية الحداثـة والغرابـة التـي تعطـي مـن المصـداقية الشيء الكثير ، كل هذه التزاوجات مع بعضها تعكس مفهوم نقدي يمكـن الركـون اليـه ، بشـكل مباشـر أو غيـر مباشـر ، حتـى لـو تضاربت الآراء حسب النفعية ، حول تفاصيل وطبيعـة هـذه الجـرأة الواقعية ، لا يمكن أن نحدد هنا سلفاً ما يجب أن نتخـذه مـن مواقـف ، ووجهات نظر أزاءها ، لأن الجرأة الشعرية تحتـوي علـى الكثيـر من ظلال المعنى التي قد لا نـنجح فـي اسـتخدامها بصـورة دقيقـة ، فالإنفعال وحـده لا يكفـي فـي إطـلاق الجـرأة بـل تحتـاج الـى عمـق زمني ،فكري وتاريخي .

((إنه زمن الخنوع

حين تهزم الطفولة

وتنشر الصحف البائسة

وعلى صفحاتها الأولى

وبخط عريض

بطولات علي بابا والأربعين حرامي))

فالمعنى المضطرب في الجـرأة الشـعرية تعكـس فكـراً مضـطرباً ، إننا لا ننكر وجوب وجـود الجـرأة الشـعرية فـي حياتنـا مـن خـلال المواقف التي نتخذها ، لكننا يجب أن لا ننكر إن هذه المواقف قابلـة للتغيير ، وربما تغيير سريع ، بعد إيجاز نشاط الإنسـان الفعلـي فـي ظروف معينة ، ذلك النمط مـن الـوعي الإنسـاني المعاصـر ، الـذي يجبر الإنسان المظلوم علـى أهميـة اللحـاق بحركـة التغييـر الزمنـي ،هذا الوعي إنعكاس للجرأة الروحية والحسية والفكرية ، والأهـم أن لا تكون هذه الجرأة صورة لليأس التي تزيد اليـأس يأسـاً وإنكسـاراً

وتـدهوراً ، وانعطافـاً خطيـراً للمـوت ، فالمصـطلحات والتعـابير الشعرية لها إرتباط وثيق بمشاعرنا التي تجعلنا نتصـور إننـا نعـيش فـي زمـن مضـطرب ، نتـاج الفعـل الإنسـاني ، الحاضـر ، وامتـداد للماضـي ، فالفكر الإنساني يلمس ويكتشف الجرأة الشعرية التي يفـر منهـا ، أو التـي يسـتجيب لهـا ، فمضـامين الجـرأة واضـحة ، بفعـل الحـدث السياسـي والإجتمـاعي ، الفكـري ، مـع تجلـي طبيعتهـا ، ومكانها ، ونشوءها ، والأسباب التـي كانـت وراء ظهورهـا ، ومـا هيأتها ، فهذه الأمـور إن ظلـت غامضـة بعـض الشـيء ، فهـي لـن تظل غامضة للأبد ، الجرأة الشعرية الغير المشوشة ، تجعل إضفاء صفة شاملة عليهـا ، لـيس أمـراً صـعباً ، الشـاعر بـدل رفـو جرأتـه الشعرية برموزها ودلالاتها واسلوبها ليسـت غامضـة ، ضـبابية ، تعكـس أمـوراً كثيـرة ، ومتنوعـة ، وحتـى أمـوراً متناقضـة مـع بعضها.

((قالوا :

صلب المسيح

وكثرة أعمدة الصلبان

في بلدان الطيبة والتسامح والآخر

لكنهم تناسوا

بأن شرقنا المهترئ ، المشتت

كل يوم يصلب ألف مسيح

يصرخون بأعلى أصواتهم

وينادون ..الحرية ، العدل ، التسامح والأنسانية))

، وهذا لا يعني عدم وجود إطاراً عاماً لها يحدد مفهوم الجرأة الشعرية ، ويساعد على تشخيص سماتها الإسلوبية ، النقدية ، التوجيهية ، فقد تأتي وتستخدم الجرأة لتغطي مجموعة من الأحداث التي جاءت لتحطم الإنسان بصورة عامة ، إن الجرأة الشعرية عند الشاعر الكبير بدل رفو ثورة كاسحة أمام الضعف والإنكسار ، والتراجع والذل والإهانة ، في جميع المجالات السياسية والإجتماعية ، والفكرية والحسية ، لكن تبقى هناك أسئلة تبحث عن أجوبة ، يا ترى ما هي المعايير في تقويم الجرأة الشعرية ؟ ومتى نستخدمها ؟ الشاعر بدل رفو جرأته الشعرية ليست غامضة ، بل نلاحظ أحياناً شفافة جداً حتى إننا لا نحتاج الى جهد جهيد لنميزها ، وهذا من الفكر الواعي ، الذي يمارسه بعض الشعراء والكتاب والفنانين ، وهي تعبر عن وجهة نظر الشاعر تجاه العالم المعاصر ، الذي عاش تجارب إنسانية ونجح في التعبير عنها ، بشكل يتناسب ما تضمنته تلك التجارب ، من أفكار جريئة ، واحساس راقي ، تمتاز جرأته الشعرية كثورة على التقاليد الشكلية واللغوية بنزعتها الواقعية ، وبراعنها الواعية ، الإبداعية ، في دراسة الواقع الدقيق واستخدام ، جرأته الشعرية التي فرضت نفسها بشكل ما على أدبه المعاصر ،وهذا أمر يمكن ملاحظته بيسر بمضامينها وبروزها كظاهرة فكرية حسية ، أجتماعية ، سياسية ، جريئة ، وكظاهرة نقدية ، جمالية ، واعية ، الذي نتج من خلاله أدباً واقعياً مشع بالمضامين الإنسانية ، ويركز على القضايا العصرية ، هادفاً من وراءها النفوذ الى أعماق التأثير في الحياة الإبداعية .